

السخرية ووظيفتها الإصلاحية في "المقامة الحوشية" للبشير بوكثير

Satire and Its Reformative Function in "Al-Maqāmah Al-Hawshiyyah" by

Bashir Boukthir

* د. غربي رضوان

Gharbi radouane

مخبر الترجمة وتحليل الخطاب والدراسات الثقافية، الرقمية والمقارنة جامعة عباس لغرور - خنشلة

جامعة عباس لغرور - خنشلة (الجزائر)

Abbes Laghrour University-khenchela (Algeria)

Gharbi.radouane@univ-khenchela.dz

تاريخ النشر: 2026/09/02

تاريخ القبول: 2026/05/15

تاريخ الإرسال: 2026/03/15

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء أهم التمثيلات الاجتماعية والإنسانية والدينية في المقامة الحوشية والوقوف عند أهم التيمات التي تضمنتها المقامة الجزائرية، وبخاصة أن الخطاب الساخر من الأدوات الفنية التي تساعد على طرح مختلف القضايا بطريقة نقدية ساخرة تستثمر إمكانات اللغة وأساليبها المتنوعة لرصد مختلف المواقف والقضايا التي تهتم الإنسان، وتجسيدها بطريقة مفارقة للتمط المعهود في التعبير عن مختلف المواقف، وليست الغاية من السخرية في المقامة هو الإضحاح والتهكم ولكن لها غاية إصلاحية تهدف إلى تهذيب السلوك، وزرع الوعي في الأذهان، فضلا عن ذلك فهي تمارس تأثيرها على المتلقي.

كلمات مفتاحية: سخرية، إصلاح، مقامة، بشير بوكثير.

Abstract :

This study aims to explore the most important social, human, and religious representations in Al- Maqāmah Al-Hawshiyyah and to identify the main themes contained in the Algerian maqāmah. This is especially significant since satirical discourse is one of the artistic tools that helps present various issues in a critical and humorous manner, making use of the possibilities of language and its diverse styles to observe different situations and matters that concern human beings. It also embodies them in a way that diverges from the conventional pattern of expressing such positions.

The purpose of satire in the maqāmah is not merely to provoke laughter or ridicule; rather, it carries a reformative aim, seeking to refine behavior and instill awareness in people's minds. In addition, it exerts a meaningful influence on the reader or recipient.

Keywords: : Sarcasm, Reform, Maqāmah, Bashir Boukthir



1-مقدمة

يعد الخطاب الساخر من الوسائل الفنية التي استعملها الأدباء قديما وحديثا في كتاباتهم الإبداعية، وذلك بهدف الكشف عن اختلالات الواقع وتناقضاته، وانتقاد مختلف مظاهر الانحراف الاجتماعي والسياسي والديني والفكري التي يقوم بها الإنسان، حيث أنّ السخرية لاتقف عند حدود الإضحك والتسلية، ولكنها تتجاوز ذلك لتؤدي وظيفة نقدية هادفة غايتها الإصلاح، وتعرية الواقع بكل ما يحمله من ظواهر وسلوكيات تهدد النسيج الاجتماعي، وتؤثر عليه بطريقة سلبية، لذلك فالمبدع الذي يكتب بطريقة فنية ساخرة يستطيع أن يسخر طاقاته التعبيرية وقدراته الفكرية لإثارة الوعي، وتغيير سلوكيات المجتمع، ولفت انتباه المتلقي إلى مواطن الخلل التي تستحق أن ترمّم في مختلف مجالات الحياة، وقد وجدت السخرية مجالا رحبا للتجلي والتمثيل في فن المقامة الذي يعدّ من الفنون السردية التي تقوم على المفارقة الساخرة والسرد القصصي المشوّق، ولعلّ ذلك ما يساعد على طرح مختلف قضايا المجتمع وفق أسلوب يجمع بين الطرافة والعمق، حيث يمارس الكاتب حفا عميقا في فهم ظواهر المجتمع قبل طرحها بطريقة تهكمية مؤثرة.

وقد وقع اختيارنا على المقامة الحوشية الجزائرية للكاتب الجزائري "البشير بوكثير"، كونها من النصوص التي حملت بين طياتها مواضيع متعدّدة تلامس الواقع في مختلف أبعاده وتفاصيله الاجتماعية والسياسية والدينية والفكرية، حيث لجأ الكاتب إلى رصد مجموعة من القضايا التي تهّم الإنسان، والتعبير عنها في قالب ساخر يفضح التناقضات ويكشف المفارقات التي تحدث داخل الحيز الوجودي الذي يعيش فيه الإنسان، ومن خلال هذا التوظيف الفني تتحوّل السخرية إلى وسيلة إصلاحية تنقر على الأوتار الحساسة للذات والمجتمع، وذلك من أجل دفعه نحو التغيير ومعالجة سلوكياته المنحرفة والارتقاء بمستوى وعيه نحو الأفضل.

ولمّا كانت السخرية تؤدي وظيفة إصلاحية يقودنا ذلك إلى طرح الإشكالية الآتية: كيف تجسّدت خصوصية السخرية عند البشير بوكثير؟ وإلى أي مدى استطاعت السخرية في المقامة الحوشية تجسيد وظيفة إصلاحية تكشف عيوب المجتمع وتناقضاته؟ وماهي أهمّ المجالات التي شملتها السخرية في المقامة الحوشية؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي بغية الوقوف على حيثيات المقامة واستجلاء مختلف صورها وأساليبها الساخرة.

2- ماهية السخرية:

تنوعت التعريفات التي اهتمت بمصطلح السخرية، حيث عُرِّفت "بأنها عملية إثارة الضحك التاجم عن مواقف تخترق كل ماهو تقليدي متعارف ومتواضع عليه، وعملية إقحام هذه المواقف تجعل من وضع كل ماهو مثالي أمام نقضيه الساخر (عكاري، 1994، صفحة 24)، وعلى هذا الأساس تكون الغاية من الخطاب الساخر هي الخروج عن الأنساق اللغوية المألوفة في التعبير عن المواقف، إلى نمط لغوي جديد يعتمد على المفارقة الساخرة التي تجسد الواقع في أبعاده المختلفة.

والجدير بالذكر أنَّ للأدب الساخر "وظيفة تطهيرية، فهو من وسائل تجديد الذات عند الفرد والمجتمع على السواء والهدف منها هو التقويم والتعذيب والإصلاح بطريقة ساخرة تعتمد على الخروج عن المألوف" (شرف، 1992، صفحة هـ. و).

فالذات الإنسانية في هذا الوجود بحاجة ماسة إلى وسائل فنية ترتقي بها، وتخبرها من دائرة الانحراف التي تؤثر سلبا على طبيعتها، لذلك كانت السخرية من الوسائل الفعالة التي يستثمرها الكتاب في نصوصهم لمعالجة كثير من الأمراض التي تصيب الذات والمجتمع، حيث أنها تقوم على التهمك واعتماد أساليب لغوية ساخرة تثير التشويق لدى المتلقي وتستقطب انتباهه.

ولما كانت السخرية الأدبية من الوسائل الفعالة التي تكشف الانحرافات السلوكية وتهذب النفوس المريضة نجد الباحث "عبد الهوال" يعبر عن هذا المعنى بقوله: "إن السخرية هي الدعوة إلى الثورة من هتافات عدائية ومن غير تنظيمات يُدان أصحابها فكأنها تهيج النفوس للثورة على الظلم وعلى الانحراف، وتفتح العيون على النقائص التي يحاول أصحابها أن يبعدها عن مواطن الضوء" (الهوال، 1982، صفحة 35)؛ أي أن السخرية تسعى لتعرية الواقع بكل ما يحمله من نقائص ومظاهر سلبية تؤثر على النسيج الاجتماعي، وتهذب منظومته القيمية التي تحفظ تماسك المجتمع، وذلك من خلال أنماط تعبيرية ساخرة تثير النفوس، وترزع الوعي في الأذهان، حيث تمارس نوعا من الاستفزاز الذي يدفع الأفراد للثورة على مختلف مظاهر الانحراف والتخلف وعدم تقبل الوضع، والسعي لتغيير الواقع بشتى الوسائل.

والجدير بالذكر أنَّ الخطاب الساخر كان له وجود في الثقافة العربية فهو "أصيل متجذر في ثقافتنا، فقد عرفت الثقافة العربية التقائض وقدم الجاحظ في "البخلاء" مجموعة من الصور الساخرة المضحكة التي ما زالت تثير الدهشة حتى اليوم" (علوي، لغة الخطاب الساخر مقارنة تداولية حجاجية، صفحة 56.55).

بناء على هذا الأساس يمكن القول إن التراث الأدبي تضمن بين طياته ألوانا من الصور الأدبية الساخرة التي تجسدت في شعر التقائض لدى القائلين الشعري المشهور (جبر، الفرزدق، والأخطل)، الذي كان نموذجا فنيا ساخرا وفق رؤية شعرية عميقة توحى بمقدرة فنية عالية من حيث تصوير المشاهد بطريقة ساخرة، وكذا التعبير عن مختلف المقاصد، وأما من الناحية السردية جسد الجاحظ الخطاب الساخر بشكل بليغ من خلال كتاب "البخلاء" الذي عالج فيه مختلف الأفعال والسلوكات التي يمثّلها الإنسان في الحياة، وكان ذلك وفق أساليب تعبيرية تعتمد المفارقة الساخرة أساسا لها، فتثير الدهشة وتكشف طباع البشر إيجابا وسلبا.

3- ماهية المقامة:

قدّم العديد من الباحثين والأدباء تعريفات مختلفة للمقامة، نذكر منهم "ركي مبارك" الذي يُعرّفها بقوله: "هي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية، أو خُطرة وجدانية، أو لحظة من لحظات الدّعاة والمجون" (مبارك، 2012، صفحة 200.199)؛ أي أنّ المقامة سرد قصصي يستهدف فكرة فلسفية بطريقة أدبية تجمع بين الإقناع والإمتاع، وتمارس تأثيرها على وجدان المتلقي وذائقته الفنيّة.

كما تعرّف المقامة بأنها "نوع من الحكايات القصيرة الحافلة بالحركة التمثيلية المعتمدة على المغامرة، ويوجد فيها إكثاّر وتركيز على الصّنع والصّور، وإغرابّ عناية باللغة وأساليبها، وغير ذلك مما تفيد في تعليم طلاب اللغة والأدب" (أوتوليطو، 2012، صفحة 42)

من خلال هذا التعريف يتبيّن لنا أنّ المقامة كجنس أدبي تقوم في جوهرها على مزيج بين المحسنات البديعية والصّور الفنيّة التي يشكّلها الكاتب بلغته الأدبية، حيث يساهم هذا التوظيف للعناصر الفنيّة إضفاء جالية على نص المقامة وجعلها أكثر إمتاعا للمتلقى.

4- السخرية في المقامة الحوشية للبشير بوكثير:

تعدّ الكتابة الإبداعية الساخرة ركنا ركيّنا في الخطابات الأدبية التي ألفها الأديب الجزائري "البشير بوكثير"، حيث تجسّد ذلك في فن المقامات على وجه الخصوص، التي منحت الكاتب مساحة كبيرة من الحرية للتعبير عن مختلف القضايا الاجتماعية والأخلاقية والدينية والإعلامية بطريقة إبداعية تهكمية ساخرة تحاكي الواقع بكل أبعاده وتفاصيله، وتمثّل المقامة الحوشية نموذجا حيّا استوعب مختلف المواقف والقضايا التي تلامس حياة الإنسان في شتى أبعادها، ومن بين أهمّ الأبعاد التي تجسّدت في المقامة نجد:

1-4- البعد الاجتماعي:

لا شك أنّ الخطابات الساخرة تؤدّي وظيفة اجتماعية "غاية في الأهمية تتمثّل في مقاومتها للاكتئاب والقلق المجتمعي وخفض التوتر وتصحيح بعض الأوضاع الخاطئة، وتجاوز الإحباط، وهذا يكون الخطاب الساخر أقوى مفعولا من الخطاب الجاد في بعض الأحيان" (علوي، لغة الخطاب الساخر مقارنة تداولية حاجية ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية 2008، صفحة 57)

بالرجوع إلى نص المقامة الحوشية تتجلى لنا مجموعة من الأبعاد الاجتماعية التي تناولها الكاتب بطريقة تهكمية ساخرة تجسّد مختلف المعاني بطريقة إبداعية ترصد مختلف الصّور الاجتماعية ومن هذه الصور نجد:

* صورة الإنسان:

يعدّ الإنسان ركنا أساسيا في بناء التسيج الاجتماعي، لذلك نجد السارد يبرز قيمته في ثنايا المقامة، ويتجلى ذلك في قوله: "أزرع الأزهار، وانثر النوار في طريق الأخيار كما الأشرار فلا بد يوما أن تورق الأزهار وتضج الثّار، وتطلع شمس النهار ويشدو البلبل الهزار، وستحصد يوما الشّذى الفواح والرد الأقاح" (بوكثير 1، مقامات بشائرية، 2021، صفحة 106)، المتأمل في هذا المقطع يستشف أنّ السارد يوظف خطابا رمزيا ساخرا مغلفا بصيغ أمرية تبرز أهمية الأعمال الإيجابية في الارتقاء بالإنسان، ولا سيما في مساندة الطيّبين والصّغفاء، فضلا عن

زرع قيم الخير والأمل في نفوسهم، لأن ذلك في نهاية المطاف سيجني ثمار ما زرعه من الخير، ويبقى أثره ساريا، حيث وظّف الكاتب صورا ساخرة مستمدة من رحم الطبيعة كـ "زرع الأزهار" ونثر التّوار "وشمس النهار"، وتحمل هذه الصور رمزية الإنسان الإيجابي الذي لا يدخر جهدا في نشر الخير بكل أشكاله في المجتمع لأن ذلك الخير سيثمر ويرتقي بالمجتمع.

ومن يدمن النظر في المقامة يجد أنّ الكاتب يقدّم توصيات للمجتمع يذكر فيها أهمية البلاغة في تخفيف هموم الإنسان وأحزانه التي تؤرقه، وفي هذا الصدد نجده يقول: "يا فارس البيداء، وليث الصحراء، اطرح فكرة التّهماء ودع عنك نقد الغوغاء وخذ من حكمة الحكماء، وبلاغة البلغاء ما يخفف عنك الأرزاء والأعباء" (بوكشير ١، مقامات بشائرية، 2021، صفحة 106) نلاحظ أنّ السارد في هذا المقطع يُعلي من قيمة الحكمة في الوجود والحكاية، فهي تكسب الإنسان البصيرة، والرؤية الصحيحة التي تجتبه سفاست الأمور، وتحفّف عن نفسه الكثير من الأعباء التي تشغله عن القضايا الكبرى التي تستحقّ التدبّر والإصلاح.

واللآفت للانتباه في المقامة أنّ الكاتب يستحضر صورا محسوسة ليعبّر عن أهمية المورد البشري في بناء الأوطان وتوطيد أركان التّقدّم، ويتجلى ذلك في قوله: "فبناء الإنسان قبل بناء الحيطان والجدران... فكم من هياكل بلا روح، وأزهار بلا فوح، وأشعار بلا نبض ولا بوح" (بوكشير ١، مقامات بشائرية، 2021، صفحة 107). ما يسترعي الانتباه أنّ الكاتب يؤكّد على قيمة الإنسان في بناء الحضارة والارتقاء بالمجتمع، حيث أنّ بناء المجتمع لا يقتصر على الجانب المادي فحسب، ولكن الأصل هو بناء فكري وروحي ومعرفي؛ لأنّ ذلك هو الأساس المتين والركن الزكين الذي سيدفع عجلة التطوّر والتّقدّم للأوطان، والملاحظ أنّ الكاتب استعار صورا حسية ساخرة تعكس رؤيته التّاضحية، وتجلى ذلك في قوله "فكم من هياكل بلا روح، وأزهار بلا فوح، وأشعار بلا نبض ولا بوح"، فهذه المفارقات الساخرة تكشف بما لا يدع مجالا للشك أنّ العبرة بالروح والعقل، وليس بالشكل، وأن قيمة الإنسان في الحياة تتحدّد من خلال ما يقدّمه خدمات جليلة للمجتمع وأمّا الخطابات الجافة والشعارات الجوفاء التي لا تترجم إلى سلوك وتطبيق عملي، فإنّها لا تتغيّر في بنية المجتمع ولا ترتقي به.

ينضاف إلى ذلك أنّ الكاتب يورد نقدا لاذعا للواقع العربي الذي انقلبت فيه الموازين، حيث أصبحت الأمة تقف على حافة التّخلف بعدما كانت منارة يقتدي بها غيرها من الأمم، وفي هذا الشأن يقول: "كنا أمة إسرائ ومعراج فصرنا أمة تهريج تهيم في الفجاج، بل صرنا أمة نعاج، حين قادنا دعاة فتنة واعوجاج، وأمراء يحتاجون إلى علاج" (بوكشير ١، مقامات بشائرية، 2021، صفحة 107).

يصوّر الكاتب حالة الدّل والهوان التي تعيشها أغلب البلدان العربية بسبب حالة التّشتت والتفرق التي أصابت بعض حكّامها، حيث كان الخلاف بين الأمراء حائلا دون تحقيق الوحدة ولم الشمل، لذلك نجد الكاتب يظهر تأسفه الشديد على وضع أمة الإسلام بأسلوب ساخر يحاكي حالة التّدهور والضعف الذي آلت إليه، ويتجلى ذلك في قوله "أمة نعاج" فهذه العبارة توحى بالضعف والانتقيا والخنوع التي أصيبت بها الأمة العربية بسبب انسياقها وراء أبواق الفتنة التي شتّت الشمل وأدت إلى حالة من الانكسار والانهزامية التي يصعب علاجها، فالكاتب يشبّه الأمة بالتعاج ويعبّر عن حالة الانصياع والانتقيا والاتباع دون وعي، كما يعبّر عن غياب الإرادة

والاستقلالية في التفكير، وأما قوله (تهم في الفجاج)، فهي صورة بلاغية ساخرة توحى بالتيه والصّياح، وكذلك فهو يحمل نبرة تهكمية تجسّد حالة التّخبط والابتعاد عن الطّريق الصّحيح.

4-2- البعد الدّيني:

سعى الكاتب لتقديم الصّورة الحقيقية النّاصعة للإسلام، لكنه في نفس الوقت أورد مجموعة من المفارقات الساخرة التي حاول من خلالها تصحيح النظرة الخاطئة عن الإسلام لدى فئة من المسلمين، وتجلّى ذلك في قوله: "الإسلام دين علم ورفع هامة، وليس تقصير لحية وإطالة عمامة،..ما أضرّ بالإسلام سوى رهط سخّط ادّعوا خدمة الإسلام وأنا وهم نيام بلا عقول ولا أحلام، نشروا الفكر الهدّام، فأطلقوا سراح الغراب وسجنوا الحمام" (بوكثير ا، مقامات بشائرية، 2021، صفحة 107).

الملاحظ أنّ السّارد لا ينتقد الإسلام لأنّه دين حق وعلم وعمل، لكنّه وظّف أسلوبا ساخرا يكشف من خلاله الفهم القاصر لدى فئة من المسلمين الذي اختزلوا الإسلام في المظاهر والشّكليات والقول دون الفعل، وكلّ ذلك ناتج عن سوء فهم وسقم في العقل، فكانت نتيجة ذلك التّرويج لأفكار هدامة لا تمت بصلة إلى جوهر التّين، حيث يقابل الكاتب بين القيم الحقيقية للإسلام (العلم والكرامة)، وبين التّشبّث بالمظاهر السّطحية، كما نلاحظ أنّ الكاتب يسخر من فئة تدّعي خدمة الإسلام، لكنّها في الحقيقة جاهلة أو غافلة، فقول(تيّام بلا عقول ولا أحلام) يوحي بعجزهم الفكري.

ومن يدمن التّظنر في هذا المقطع يجد أنّ السّخرية تتجلّى أيضا في قول(نشروا الفكر الهدّام) يتضمّن هذا القول مبالغة نقدية تهدف إلى إبراز خطورة أفكارهم، التي تكشف التّناقض بين ادّعائهم الإصلاح ونتائج أفعالهم التي تتنافى مع زعمهم، كما تتجلّى السّخرية في قالب رمزي معبّر تجسّد في قوله (فأطلقوا سراح الغراب وسجنوا الحمام)، فالغراب يرمز عادة إلى التّشاؤم، بينما الحمام يرمز إلى السّلام والخير، وهنا يشير الكاتب إلى المفارقة العجيبة التي اتّصفت بها هذه الفئة، فهم يتركون الشرّ ينتشر في المجتمع ويدعمونه بشتى الطّرق والوسائل، وأما الخير فيسخرّون كلّ مجدهم لتقييده والحدّ من انتشاره في مفارقة تعكس حالة من التّناقض الذي آلت إليه حال بعض المجتمعات العربية.

وقد عبّر الكاتب عن حال الأمة العربية موظّفا أسلوبا ساخرا يجسّد حجم تأثير الفئة التي تدّعي خدمة الإسلام، ويظهر ذلك جليا في قوله: "ادّعوا التّضحية بالنّفس والتّقيس حين حيي الوطيس، وتعرّز التّيس، ودقّت الأعناق بالفطيس" (بوكثير ا، مقامات بشائرية، 2021، صفحة 107).

يُصور الكاتب حال الأمة الإسلامية، وما آلت إليه من الضّعف والانتكاسة التي أصابت العقول والنّفوس، حيث انقلبت الموازين، فأصبح الأسياد عبيدا، وألجأت أصواتهم، وكَمّت أفواههم، ويظهر ذلك في قول الكاتب "تعرّز التّيس"، حيث تجسّد هذه العبارة مبالغة هزلية حول وضع الأمة الذي انقلبت فيه الموازين والأدوار، فالصّيغة الفعلية تكشف عن إرادة قصدية، وهي ميول الرّجال إلى التّشبّه بالنّساء، وتخليّهم عن أدوارهم الطّبيعية في الدّود عن حيّاض أمّتهم، وتراجعهم إلى الصّفوف الخلفية حيث النّساء، ومن لا حيلة له من المستضعفين. يضاف إلى ذلك منع أهل الرّأي والكفاءة من قيادة المجتمع، حيث تجسّد ذلك من خلال ممارسة التّضييق عليهم، وذلك بهدف تقليص

تأثيرهم الإيجابي على المجتمع العربي والارتقاء به نحو مكانة متميزة بين المجتمعات، فانعكس ذلك بالتسلب على واقع المجتمع العربي .

2-2-4 صورة المرأة والرجل:

يوجه الكاتب نقدا لاذعا لحال المرأة والرجل في الأمة الإسلامية، مشيرا إلى أدوارهم التي انخرقت عن أصلها الطبيعي، وقد عبّر عن ذلك بكل حسرة ومرارة، ويتجلى ذلك في قوله: "نساؤكم كالخز اللاخ، والغراب التاخ، شرهم كاشع فاضح، ورجلهم في المقاهي والملاهي بين غاد ورائح" (بوكثير ا.، مقامات بشائرية، 2021، صفحة 107). يتبين لنا من خلال هذا المقطع الساخر أن السارد يُبدي حالة الاستياء لحال بعض نساء المسلمين اللاتي بالغن في المكائد والشُرور فأصبحت حالهن كحال الغراب التاخ، وشرهن كاشع فاضح، وهذه مفارقة ساخرة تجسد الصورة السوداوية القائمة التي أصابت المجتمع، وكل ذلك كان نتيجة لتخلي الرجال عن مبدأ القوامه والمسؤولية الواعية التي تحفظ التسيج الاجتماعي وتمنح كل طرف دوره المنوط به بالحياة، لذلك نجد الكاتب يشبه النساء بالخر الشديد والغراب التاق، وهي صور تحمل دلالات سلبية (الشدة والتشاؤم)، وقد استخدمت لتصوير الحال الموصوفة بدقة، وأما قوله "شرهم كاشع فاضح" نجد مبالغة في تصوير الشر وكأته مكشوف، والملاحظ أن الكاتب لم يكتف بوصف حال النساء، ولكنه قدم أيضا وصفا ساخرا عن الرجال، وتجلى ذلك في قوله (ورجلهم في المقاهي والملاهي بين غائد ورائح)، حيث يصور الكاتب الرجال بأنهم يقضون أوقاتهم في اللهو والفراغ عوض الانشغال بالمسؤوليات.

2-2-4 صورة الشباب:

تعد فئة الشباب من الفئات التي تحظى بأهمية بالغة في المجتمعات، نظرا لما تتمتع به من القوة والقوة والعمل، غير أن السارد في المقامة الحوشية يتأسف عن الوضع الذي آل إليه أمر الشباب في المجتمع العربي، حيث عبر عن ذلك بقوله: "أما شبابكم فأحلامهم كأحلام الدليم، وآمالهم كآمال صغار الغيلم.. وحين يبعد عنهم العنب يقول لك إنه حصرم، تسمع لهم جعجة وبعبة ولا ترى لهم طحنا في المعمة" (بوكثير ا.، مقامات بشائرية، 2021، صفحة 108).

يرصد السارد صورة ساخرة تعكس حال الشباب العربي الذي أصابه الوهن والضعف، فغابت قوة العزيمة والهمة، وزهد في الطموح والعمل الجاد، فأصبح منشغلا بالكلام الفارع، دون بذل جهد في استثمار الطاقة الشبانية في خدمة المجتمع، ولكنهم يركنون إلى الدعة والكسل، ويتأكد ذلك في المفارقة الساخرة الآتية "فآمالهم كآمال صغار الغيلم" والملاحظ أن الكاتب يسخر من الشباب لأن أحلامهم كثيرة وكبيرة ولكنها ساذجة ومندفة في كثير من الأحيان، فهي أشبه بصغار السلاحف التي تخرج للحياة بأعداد كبيرة لكنها تندفع بأمل كبير نحو البحر إلا أن أغلبها لا يصل بسبب المخاطر المحيطة بهم، إلى جانب ذلك يواصل الكاتب توجيه نقد لاذع لحال الشباب بصور ساخرة معبرة عن حالهم، فيقول "و حين يبعد عنهم العنب يقال لك إنه حصرم" وهذه إشارة توجي بأن الشباب يذمّون الشيء عندما يعجزون عن الوصول إليه تبريرا لفشلهم، فيعلقون ذلك على مشجب الأوهام، كما يورد الكاتب صورة ساخرة تجسد حجم الاحتكالية والتسويق الذي تتصف به هذه الفئة، حيث يقول "تسمع لهم جعجة

وبعبارة ولا ترى لهم طحنا في المعمة"، وهي صورة ساخرة تقوم على المقابلة بين الصوت والفعل، حيث أنّ الكاتب يُشَبِّههم بطاحون يُسمع صوتهما العالي دون أن تنتج طحيناً، كذلك حال هؤلاء الشباب الذي يسرفون في الكلام، ولكن في مجال العمل لا أثر ولا إنجاز.

5-البعد الإعلامي:

لاشك أن الإعلام هو "العين الزائدة للأخطاء والظواهر التي تكشف أخطاء الساسة وفضح عيوب المجتمع عن طريق السخرية والفكاهة والتكثيرة" (السالم، 2014، صفحة 51)، فالكلمة الإعلامية لها دور كبير في توجيه المجتمعات وتشكيل الوعي، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال توظيفها بشكل جيد، غير أن نص المقامة البشائية يحمل بين ثناياه نقداً ساخراً للإعلام العربي الذي صرف الإنسان عن القضايا الأساسية التي ترتقي بوعيه، وما يؤكد ذلك قوله: "أما إعلامكم فطعناته نجلاء قاتلة وخزانة مدمرة هائلة، وضغائنه بالشّر متدققة سائلة، فقد ساد القرضوب والتعلوب، وحورب الغطريف الطّريف، وقرب الدّاعر الشخيف" (بوكثير ا، مقامات بشائية، 2021، صفحة 108).

يؤكد السارد على خطورة الإعلام في التأثير على المجتمع، فطعناته أشد من وقع السهام والزماح، لأنه يخدّر العقول ويقتل الأرواح ويصيب الوعي في مقتل، ولا سيما حين يزيّف الحقائق، ولا غرو أن المقاربات الساخرة (القرضوب والتعلوب) تعكس تحليّ الإعلام العربي عن دوره الحقيقي المنوط به في تنوير الرأي العام بما يخدمه ويثري حصيلته الثقافية، وما ذلك إلا نتيجة لإبعاد الضادقين الذي يشغلون بضمير حي وبصيرة نافذة تبني وعي الإنسان، كما نلاحظ في المقطع أنّ الكاتب يضخم أثر الإعلام ويصوره كقوة مدمرة، ولا سيما في توجيه الرّأي العام وإفساد الوعي، والمتأمل في قوله (وضغائنه بالشّر متدققة سائلة) يوظف الكاتب صورة بلاغية ساخرة توحى بأن الإعلام أصبح مصدراً للشّرور والأحقاد، وبثّ السموم الفكرية، والمغالطات التي تصرف الناس عن القضايا الكبرى التي تهتمهم، وهو تعبير يكشف انحراف الإعلام عن رسالته الحقيقية وهي تنوير الرّأي العام ونشر الوعي. ولم يكن كاتب المقامة بفئة الإعلاميين فقط، لكنه أشار أيضاً إلى طبقة المفكرين في العالم العربي، حيث يقول: "ولا تسليني عن مفكركم، فأنّ أدري بواقع الحال، فقد اعتلى المنابر كل زعر وعزور في الملاء يزأر، بينما أبعد السميذع الجحاح الذي يرتشف من ماء ضحضاح فكسدت تجارة سوق عكاظ تصدّر المجالس أشباه وعاظ" (بوكثير ا، مقامات بشائية، 2021، صفحة 108).

لما كان الفكر هو مرآة المجتمع والحضارة، فإنّ السارد ينقد حال بعض المفكرين العرب بمرارة وحنن، وتجسّد ذلك في العبارات الساخرة الآتية (اعتلى المنبر زعر وعزور، ويزأر..). كل هذه المفارقات تعكس عمق الجرح الذي أصاب بعض المفكرين في العالم العربي، حيث أبعد العلماء والأدباء الأفاضل، وقدم أشباه المثقفين الذي يزأرون دون وعي وفكر حقيقي ينشل الأمة ويغيّر واقعها نحو الأفضل، فالكاتب يعبر عن واقع المفكرين في المجتمع وما آل إليه حال الفكر والثقافة، وتتجلى المفارقة الساخرة بشكل لافت للانتباه في قوله (فقد اعتلى المنابر كل زعر وعزور في الملاء يزأر)، حيث يصوّر الكاتب أشخاصاً غير مؤهلين، وقد تصدّروا المنابر، وهو تصوير يكشف المفارقة بين المكانة

العلمية المفترضة للمنبر، وبين من يشغله في الواقع، فضلا عن ذلك فالكتاب يسخر من انقلاب المعايير واختلال الموازين في المجتمع، فصاحب العلم والفضل يُقصى، في حين يتصدّر الجاهل، وهي مقارنة تعكس خللا في الواقع.

6- البعد السياسي: تحتل السياسة مكانة أثرية في الخطاب الساخر، حيث تعرّض لها الكاتب بالتقذّر اللاذع وتجنّد من خلال صورتين:

1-6 صورة الملوك والوزراء:

لا شك أنّ السخرية تؤدّي وظيفة سياسية من خلال " انتقاد بعض المؤسسات وبعض الشخصيات والسلوكيات، بهدف خفض التوتر أو تصحيح الأخطاء، ومهاجمة الوضع الراهن في السياسة الذي يكون محصلة الممارسات خاطئة، مما يندّر بأخطار ينبغي التحذير منها" (الحמיד، 2003، صفحة 220).

بالعودة إلى نص المقامة نجد السارد يورد مقطعا ساخرا يصف فيه حال الملوك والوزراء في بعض البلاد العربية، حيث عبّر عن ذلك بقوله: "أما ملوككم فتغاء ورغاء، وعوّاء وموّاء وعويل، وبكاء، لاشهامة ولا نخوة، بل شهوة تعقبها رغبة، ولا عهد ولا ميثاق، بل عهر ونفاق" (بوكثير ا، مقامات بشائية، 2021، صفحة 109)

نلاحظ أنّ الكاتب يقدّم تشبيها ساخرا لطائفة من الملوك، حيث شبههم بأصوات الحيوانات؛ إذ ينزله من مقام القيادة والسيادة إلى مستوى الأصوات والخطابات الفارغة التي لا معنى لها، حيث يبالغ في تصوير حالة الضعف والوهن التي أصابهم في قوله (وعويل وبكاء)، وهو تصوير ساخر يعكس افتقارهم للقوة والتوجيه وحسن التسيير، كما نجد الكاتب يعتمد على أسلوب المقابلة الساخرة في قوله (ولا عهد ولا ميثاق، بل عهر ونفاق)، وهنا تتجلى لنا مقارنة ساخرة بين القيم لفاضلة (العهد والميثاق) ونقضها (العهر والنفاق).

من خلال هذا المقطع أيضا نجد أنّ السارد يورد صورة كاريكاتورية ساخرة لملوك العرب الذين غابت عنهم النخوة والغيرة على أوطانهم، فكان اتفاقهم على الاختلاف والتشتت، ونبد الوحدة والائتلاف، فباع الكثير منهم أوطانهم بأجنس الأثمان، وبقي ذلك وصمة عار في جبينهم، وتجرعوا مرارة الخذلان "وجزعوا الحرار والأحرار كؤوس الحنظل والبأس، وجزّوا رقاب الأبرار بالسيف والفأس، وتدافعوا يتباكون.. ثم أتوا أباهم عشاء يبكون" (بوكثير ا، مقامات بشائية، 2021، صفحة 109).

يقدّم السارد وصفا ساخرا لحال بعض وزراء العرب وملوكهم الذين باعوا أوطانهم، وأصبحوا يسكبون دموعا غزيرة، فخالهم كحال إخوة يوسف عليه السلام الذين باعوا أخاهم بئس بئس، وعادوا إلى أبيهم يذرفون الدموع، فعادوا إلى بلدانهم يجرّون الحبيبة والخسران، ويشربون من كأس الانهزام، لذلك نجد السارد يتعرض بالتقذّر الشديد للملوك الذين باعوا أوطانهم، يذكرنا حتى أساء بعض الأفطار العربية التي تشتت ويظهر ذلك في قوله: "باعوا الخرطوم والشام وطرابلس، والعراق، وتراهم يسكبون دموع التماسيح، ويريقون دم العهر السحاق، ويتنادون مصبحين أو يا عراق" (بوكثير ا، مقامات بشائية، 2021، صفحة 109).

2-6 صورة البلاد العربية:

يتأسف الكاتب على ما آل إليه حال البلدان العربية من التشتت والخراب والدمار بسبب فساد الحكام، فهم لا يراعون عهدا ولا ميثاقا، ولا يحترمون شعوبهم ولا حرمة أوطانهم "فقد انشغلوا بالآثام والدنايا فهم مارقون سارقون

يسبحون في بحر الأمانى والمنيا، يغتسلون بالأشلاء، ويتيمنون بالشظايا ويوزعون على الأموات عراجين التمر والهدايا" (بوكشير ١، مقامات بشائية، 2021، صفحة 110).

يعكس هذا المقطع الصورة السلبية القائمة لبعض الوزراء الذين استأثروا بخدمة مصالحهم ونهب أموال شعوبهم، فهم منشغلون عن هموم مجتمعاتهم والقضايا التي تخص أوطانهم، بعيدون كل البعد عن مجريات الواقع غير مكترئين بذلك، حيث يجمع الكاتب بين صورتين متناقضتين ليظهر فساد الواقع بطريقة لاذعة، وتتجسد هذه المفارقات الساخرة في قوله "يسبحون في بحر الأمانى والمنيا"، فجدد الكاتب يجمع بين الحلم بالحياة والموت في نفس الوقت، أي أنهم غارقون في الأوهام ومستنقع الآثام ومع ذلك فهم يعتقدون أنهم سيحققون أحلامهم ومقاصدهم، وهي صورة تحمل سخرية من انفصالهم عن الواقع، وأما المفارقة الثانية هي قوله "يغتسلون بالأشلاء" ويتيمنون بالشظايا؛ أي أنهم يزعمون الطهارة والإصلاح لكن أدواتهم الحقيقية هي العنف والخراب والعبث بكرامة شعوبهم، فكل هذه الصور التهمجية الساخرة تعكس الواقع السياسي البائس لحال الأمة، فهو مليء بالتناقضات والشعارات الفارغة الجوفاء التي غالبا ما تخدّر وعي الشعوب، وتجعلها تعيش على أمل التغيير.

- خاتمة: في ختام هذه الدراسة تم التوصل إلى مجموعة من النتائج نوجزها في ما يلي:

- إن السخرية في المقامة الحوشية للبشير بوكشير لم تكن مجرد وسيلة نقدية للإصحاء، ولكنها تحمل أبعادا إصلاحية عميقة تمس الإنسان والمجتمع.
- استطاعت المقامة أن تكشف مختلف التناقضات الحاصلة في المجتمع العربي، وتعريتها بطريقة نقدية واعية تثير وعي المتلقي وتلفت انتباهه إلى مظاهر الخلل في واقعه.
- تضمنت المقامة الحوشية نقدا لاذعا لفئة من المسلمين حصرت الإسلام في الشكليات والمظاهر، حيث قدّم الكاتب صورة إيجابية ناصعة للإسلام وحقيقته التي تحث على العلم والعمل.
- كشف الكاتب خطورة الإعلام العربي في تزييف الحقائق، بهدف صرف المجتمع عن القضايا المصيرية الكبرى التي تصنع الوعي وترتقي بالمجتمع نحو الأفضل.
- قدّم الكاتب صورة كاريكاتورية ساخرة لبعض الوزراء العرب الذين باعوا أوطانهم بأجناس الأثمان.
- صوّر الكاتب الواقع السياسي للأمة العربية بأسلوب ساخر يعكس حجم التناقضات والشعارات الجوفاء التي تخدّر عقول الشعوب وتصرفها عن حقيقة الواقع.
- تفعيل الكاتب لأسلوب المقارنة الساخرة، كان له كبير الأثر في إيصال المعاني إلى ذهن المتلقي وإثارة انتباهه.

- انتقاد بعض المؤسسات والشخصيات والسلوكيات بطريقة تهكمية ساهم في تخفيف حدة التوتر، ومهاجمة الوضع الزاهن بهدف معالجته وتصحيحه مساره.
- أبانت السخرية أن خطورة الإعلام تكمن في تخدير العقول وقتل الأرواح، من خلال تزييف الحقائق وصرف المجتمعات عن قضاياها المصيرية الكبرى.
- أثبتت المقامة الحوشية أن الاستثمار في المورد البشرية يمثل جوهر المعادلة الحضارية.

قائمة المراجع :

- 1- البشير بوكشير. (2021). مقامات بشائرية . برج بوغريج الجزائر: دار خيال للنشر والترجمة.
- 2- حامد عبده الهوال. (1982). السخرية في أدب المازني. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 3- حافظ إساعيل علوي. (2008). لغة الخطاب الساخر مقارنة تداولية حجاجية ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية. الرباط: دار أبي رقيق..
- 4- حمد خضر السالم. (2014). تطور الكاريكاتير في الصحافة العراقية . الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع
- 5- زكي مبارك. (2012). التثر الفني في القرن الرابع. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- 6- عبد الحميد شاكر. (2003). الفكاهة والضحك رؤية جديدة. الكويت: منشورات عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب
- 7- عبد العزيز شرف. (1992). الأدب الفكاهي. لونغمان مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر.
- 8- سوزاي عكاري. (1994). السخرية في مسرح انطوان غندوز. طرابلس لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.
- 9 - عبد السلام أمين الله أتوتليطو. (2012). دراسة فنية بديعية لـ(المقامة البغدادية) في مقامات الهمذاني. الهند.